٥/ السياق :

هناك دائما ضوابط ، ومنا سبات ترتبط بها الظواهر خصوصا الدلالية والبلاغية منها

– ومن هاته الظوابط ما يعرف ب " السياق "

تعـريفه :

أ/ لغـة : السياق في الاصطلاح العربي القديم هو من أصل : (تساق الإبل وغيرها ببسوقها ، وسياقا وتساوقت الإبل إذا تتابعت وساق فلان من امرأته أي أعطاها مهرها ... ويقال فلان في السياق أي الترع ...(١).

ب/ اصطلاحـا : هو بتقريب بين وجهات النظر أللباحثين

(ما يصاحب اللفظ منها مما يساعد على توضيح المعني ، وقد يكون التوضيح بما ترد فيه اللفظ حين الاستعمال ، وقد يكون ما يصاحب اللفظ من غير الكلام مفسرا أللكلام ...)) (٢)

– ومن هذا يتضح :

* **السياق اللغوي** :ليس وحده من يعطي الكلمة حضورها ومعنا ها

– تراعي للوصول للمقصود الظروف المحيطة بالكلام (أي المقام) (ينبغي للسياق أن يشمل الكلمات ، والجمل السابقة،واللاحقة بل والقطعة كلها ، والكتاب كله كما ينبغي أن يشمل كل ما يتصل بالكلمة من ظروف ، و

ملابسات. وعناصر أخرى غير لغوية متعلقة بالمقام الذي تنطق فيه الكلمة لما لهذه العوامل جميعا من تأثير مباشر على المعني الكلمة).

– ومما سبق تتضح أهمية السياق في تحديد المعاني ولربط كلا العنصرين هناك حلقة لابد منها .

تطور مفهوم السياق :

لو نربط بعض العناصر بطريقة موضوعية نجد أن الدلالة قدا ارتبطت قديما بالدرس البلاغي وهذا الأخير يرتبط بالسياق ، وفيما سبق ذكرنا رجوع هذا إلى العلماء القدماء منذ عصر أفلاطون وأرسطو فقد طرحت أبحاث في شأن (السياق) بداية مثلا من أفلاطون الذي تحديث في كتابه (فيدروس) " فن الشعر " مشيرا إلي أن (.. الفكرة هي القدرة على إيجاد اللغة التي يقتضيها الموقف ، ويتلاءم وإياها) – وبين " فندربين " في كتابه (اللغة) أهمية السياق (٤).

* وكل هذا مجرد محاولات غربية إلي ظهر " فيرث " المعتبر مؤسس النظرية السياقية عند الغرب ، بعد تلك الإرهاصات المتناثرات خصوص هو رأت (ما ليوف سكي) حين بدا ترجمة أبحاثه إلا أنه أدرك عجزه على الوصول إلي الترجمة الفعلية للنصوص التي سجاها ، وأنها تكون أدق ، وأضح في ضوء الملابسات التي قيلت فيها .

* وتواصل الاهتمام نهاته النظرية ، في مدارس لسانية النبوية التي تقوم وتهتم ب : (٥)

(١) بأمر الصورة : بالشكل والأنموذج في أي نوع من أنواع المعرفة

(٢) بالترابط الذاتي : والتناسق بين أجزاء الظاهرة المدروسة والعلاقات القائمة فيها بينها

ثانيا : حسب مختلف المفاهيم هي العلم الذي يهتم بدراسة اللغة من حيث هي وسيلة للتخاطب ، والتفاهم بحكم العلاقات بينها وبين المدلولات : السياق والمقام ... في الكلام .

يجسد ما سبق البنوي (أندري مارتيني) خصوصاً في مبادئه الثلاث :

أ – مبدأ الصلات القائمة بين العناصر اللغوية ،ذلك أنَّ المونيم (moném) لا تكتمل وظيفته إلاّ بمجاوريةلمونيمات أخرى .

ب – الموقع للعنصر اللغوي في السياق هو المحدد لوظيفته

ج- ضرورة العنصر اللغوي بدلالة خاصة به وتتجسد دراسات السياق ، وأهميته في المدرسة التداولية باعتبار أن اللغة هي إنجاز فعلي يرتبط سياق المقام (في زمن ومكان معينان محسوسان)

- في المقابل وعند العرب

نجد أنّ الاهتمام بالسياق لم يكن عند الغربيين فحسب ، فإنه وكما وضحنا آنفاً نجد البلاغي (عبد القاهر الجرجاني) يشير إلى أهمية السياق في أكثر من مقام خصوصاً في نظريته (النظم) إذْ يعرفه بقوله: (...أعلم أنَّ ليس النظم أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو ، وتعمل على قوانينه ،وأصوله ،وتعرف مناهجه التي نهجت، ولا تزيغ عنها...)إلى أن يصل إلى ضرورة وأهمية السياق بالنسبة للفظة إذ يقول مدَّللا : (...إنك ترى لكلمة تروقك ،وتؤنسك في موقع ،ثم تراها بعينها تثقل عليك ، وتوحشك في موضوع آخر..) ١

حتى أن الظواهر السياقية تعددت في مبنى ،ومعنى اللغة العربية نجد خلافي ظاهرة التأليف٢ فمنذ القدم ،والعهد الجاري في تأليف الكلمة العربية ثلاثي الأصول :

(الفاء – والعين – واللام) ، ولوحظ أنَّ هذه الأصول يجري تأليفها حسب أساس ذوقي ، وعضوي خاص (بالنسبة إلى أماكنها في الجهاز النطقي) فقسموه حسب المخارج إلى ثلاث مناطق :

* ينظر / الطيب دبه / مبادئ اللسانيات البنوية- ص ٨٦ – ١١٢

[١] عبد القاهر الجرجاني . دلائل الإعجاز / ت : محمد رشيد رضا ص ١٢٧ .

[٢] ينظر : د / تمام حسان / اللغة العربية معناها ومبناها / عالم الكتب ج / الظواهر السياقية ص ٢٦٥-